التخوف من اختطاف الأطفال كما يدركه أولياء التلاميذ في المدارس الابتدائية

د/ سعيدة لونيس / جامعة الجزائر 2

د/ جحيقة قزوي / جامعة الجزائر 2

ملخص:

استهدفت الدراسة الحالية الكشف عن انعكاسات ظاهرة اختطاف الأطفال ببعض المدارس الجزائرية من خلال تسليط الضوء على مدى معاناة الأولياء لفوبيا اختطاف هذه الشريحة العمرية، التي عرفت انتشاراً واسعاً في أوساط المجتمع الجزائري. ولغرض تحقيق أهداف الدراسة تم بناء استبانة للدراسة وتوزيعها على عينة تكونت من 49 فرد. وقد أفرزت النتائج عن عدم إدراك أولياء التلاميذ (أفراد العينة) لتأثير تخوفهم من الاختطاف على النمو النفسي للأبناء، تحقيق الاستقلال عن الوالدين، تكوين العلاقات الاجتماعية، التحصيل الدراسي، والتأثير على الأسرة.

الكلمات المفتاحية: اختطاف الأطفال، التخوف من الاختطاف، أولياء التلاميذ، المدارس الابتدائية.

1- إشكالية الدراسة:

إن الأسس الجوهرية لحياة المرء الراشد مرحلة الطفولة تتركز على خصائص طفولته الأولى أو سنوات الطفولة، حيث تعد من أهم المراحل في حياة الإنسان ففيها تتفتح مواهب الطفل، وتنمو قدراته حيث يصبح قابلاً للتأثير والتوجيه والتشكيل. ولقد زاد الاهتمام بهذه المرحلة في العصر الحديث من طرف علماء النفس والتربية والهيئات العالمية، لما لها من أثر وأهمية بالغة في حياة الفرد، حيث تعتبر اللبنة الأولى في أساس بناء شخصيته لذلك سنت القوانين لحماية الأطفال من كل الأخطار، وأنشئت المنظمات للدفاع عن حقوقهم كمنظمة الطفولة العالمية اليونيسيف.

كما يقر معظم المشتغلين بعلم النفس بمدى أهمية الأسرة باعتبارها الخلية الأولى للمجتمع والتي تلقن الطفل مبادئ الحياة الاجتماعية وتشكل بنية الشخصية الإنسانية. كما أنها تمثل الرحم الاجتماعي الذي يتلقى الوليد بعد خروجه من الرحم البيولوجي ليقدم الأمن والحماية والرعاية وتزوده بأساليب التوافق مع الحياة وقيمه ومبادئه. كما أنها تساهم بشكل بارز في مساعدة الأبناء على التكيف السليم مع المحيط الذي يعيشون فيه.

ومن أجل تحقيق مساعي الأسرة والأهداف المنوطة لها لابد من سلامة البناء الأسري والتركيز على طبيعة العلاقة بين الوالدين والأبناء خاصة في مرحلة الطفولة، باعتبارها تلعب دوراً مهماً في رسم الملامح الأساسية للطفل في المستقبل (معتوق، 2013). وبالرغم من أهمية هذه المرحلة إلا أن هناك حالات إساءة للأطفال والتي عرفت عدة أشكال، خصوصاً مع التقدم العلمي والتكنولوجي الذي لحق البشرية حيث يعد سلاح ذو حدين فمن جهة وفرت وسائل الراحة والرفاهية للإنسان، ولكن من جهة أخرى أسهمت في انتشار الظاهرة الإجرامية، ومن جملة الجرائم التي اجتاحت مؤخرا المجتمع الجزائري ظاهرة الاختطاف.

وقد ازدادت بشاعة هذه الظاهرة وفظاعتها حين ينصب فعل الاختطاف على شريحة ضعيفة في المجتمع مطلوب حمايتها وكفالة حقوقها في الحياة والأمن كحالة الأطفال القصر. وفي هذا الصدد سجلت الإحصائيات الرسمية أكثر من 250 حالة اختطاف وأكثر من 15 حالة اختطاف مقترن بالقتل والتنكيل بالجثة. وهكذا نجد أن هذه الأرقام في حالة تنامي مستمر زعزعت امن وسلامة واستقرار المجتمع، والذي ترتب عنها خلق حالة من الفزع والخوف والرهاب في أوساط الأسرة الجزائرية خصوصاً الأولياء الذين أصبحوا يعيشون جواً يسوده نوع من القلق المرضي وعدم الشعور بالأمن على أبنائهم مما يؤثر بالضرورة على شخصية الأبناء ونموهم النفسي. لذا فلابد من مواجهة هذه الظاهرة والحد من انتشارها من خلال تضافر جهود مختلف المؤسسات والهيئات في المجتمع حتى نقلص من آثارها السلبية على كافة الأصعدة.

وإيماناً منا بمدى أهمية مرحلة الطفولة في حياة الفرد باعتبار أن طفل اليوم هو رجل الغد، وعلى أساسه يتوقف رقي المجتمعات وتقدمها من خلال الاهتمام والعناية بهذه الشريحة العمرية، جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على هذه الظاهرة التي عرفت انتشاراً سريعاً في مجتمعنا ومدى خطورة انعكاساتها على الصعيد الشخصي والمجتمعي. وعليه تتلخص إشكالية الدراسة الحالية في الكشف عن الانعكاسات النفسية لظاهرة اختطاف الأطفال على الأولياء ببعض المدارس الجزائرية من خلال الكشف عن مدى معاناتهم النفسية (المخاوف المرضية) من جراء هذه الآفة الاجتماعية التي استفحلت في أوساط المجتمع الجزائري. وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما مدى إدراك أولياء تلاميذ المرحلة الابتدائية لأثير تخوف اختطاف الأبناء على كل من: النمو النفسي للأبناء، تحقيق الاستقلال عن الوالدين، تكوين العلاقات الاجتماعية، التحصيل الدراسي، والتأثير على الأسرة؟

2- تحديد المفاهيم إجرائيا:

التخوف من اختطاف الأطفال:

يمكن تعريف التخوف بأنه اضطراب مزمن له طابع الهيمنة والاستمرار، ويرتبط غالباً بتدهور في الوظائف الاجتماعية والعضوية والنفسية للفرد. وفي بعض الأحيان يصاحبه تعبيرات فسيولوجية حادة تفضي إلى العزلة والاكتئاب.

أما في دراستنا الحالية فيتمثل في الخوف المرضي أو الرهاب يلازمه قلق مبالغ مملوء بشحنات من الخوف العارم أو الهلع أو ما يسمى قلق الهلع، الذي يفضي إلى تهيؤات مرضية تتباين وترتبط بموضوع الخوف على أبنائهم من تعرضهم للاختطاف، ما يدفعهم إلى التعامل معهم بحذر خوفاً عليهم من المختطفين بين الحماية الزائدة والتسلط. أما إجرائياً فيتجسد في الدرجة الكلية التي يتحصل عليها المبحوث على استبانة مصممة لغرض الدراسة.

3- الدراسة الميدانية:

3-1- منهج الدراسة:

تتطلب مقتضيات البحث العلمي تحديد نوع المنهج المتبع، وذلك بغرض التوصل إلى نتائج موضوعية ودقيقة موثوق فيها قابلة للتحليل والتفسير والتأويل. وعلى هذا الأساس فإن المنهج المناسب الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة يتمثل في المنهج الوصفي التحليلي، والذي يعتمد على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلاً كافياً ودقيقاً لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة. وذلك من أجل البحث في موضوع فوبيا اختطاف الأطفال كما يدركها أولياء التلاميذ ببعض المدارس الجزائرية، أين قمنا بإعداد استبانة بحث وتطبيقها على مجموعة أولياء تلاميذ المرحلة الابتدائية.

3-2- عينة الدراسة:

تم الاعتماد في هذا البحث على عينة من الأولياء ببعض المدارس الابتدائية التابعة لدائرة ذراع الميزان، والذين بلغ عددهم 49، تم اختيارهم بطريقة عرضية. وفيما يلي خصائص أفراد العينة:

جدول رقم (01): توزيع أفراد العينة حسب الجنس.

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
أنثى	19	38,8
ذكر	30	61,2
المجموع	49	100,0

يتضح من الجدول أن النسبة الكبرى من أفراد العينة تمثلت في الذكور. كما يتضح في التمثيل البياني الموالي:

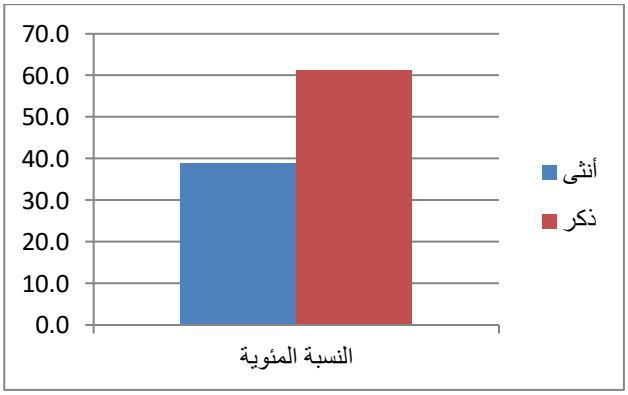

مخطط رقم (01): التمثيل البياني توزيع أفراد العينة حسب الجنس.

جدول رقم (02): توزيع أفراد العينة حسب السن.

الفئات العمرية	التكرار	النسبة المئوية
30-35	5	10,2
36-40	15	30,6
41-45	7	14,3
46-50	19	38,8
أكبر من 50	3	6,1
المجموع	49	100,0

يتبين من الجدول أعلاه أن النسبة الكبرى من توزيع أفراد العينة حسب السن تمثلت في الفئة (46-50)، لتليها الفئة (36-40)، فالفئة (41-45) ثم الفئة (30-35) وفي الاخير المبحوثين الأكبر من 50 سنة بثلاث أفراد. ويظهر ذلك جليا في التمثيل البياني التالي:

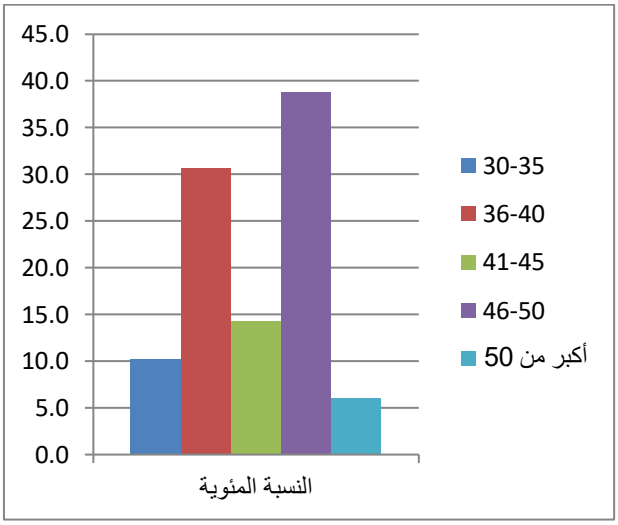

مخطط رقم (02): التمثيل البياني توزيع أفراد العينة حسب السن.

جدول رقم (03): توزيع أفراد العينة حسب العمل وعمل الشريك.

	العمل		عمل الشريك	
الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
يعمل	32	65,3	15	30,6
لا يعمل	17	34,7	34	69,4
المجموع	49	100,0	49	100,0

من خلال جدول توزيع أفراد العينة حسب العمل فإن أغلب المبحوثين يعملون بنسبة (65,3) بينما البقية لا تعمل. بينما في عمل الشريك فقد سلجنا أن أغلب المبحوثين لا يعملون بنسبة (69,4). كما هو موضح في المخطط البياني الذي يلي:

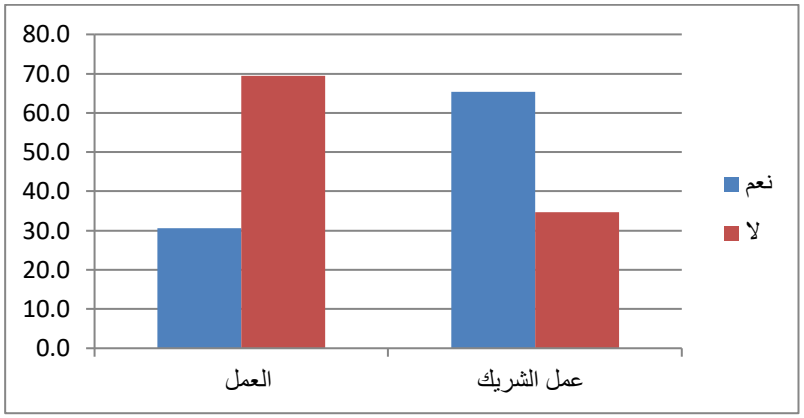

مخطط رقم (03): التمثيل البياني توزيع أفراد العينة حسب العمل.

جدول رقم (04): توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي.

	المستوى التعليمي		المستوى التعليمي للشريك	
المستويات	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
ابتدائي	29	59,2	34	69,4
متوسط	11	22,4	13	26,5
ثانوي	5	10,2	0	00.0
جامعي	4	8,2	2	4,1
المجموع	49	100,0	49	100,0

يوضح الجدول أعلاه توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي للمبحوث وللشريك، حيث تبين أن أعلى نسبة كانت للمستوى الابتدائي، بعدها المستوى المتوسط ليليه المستوى الجامعي، بينما المستوى الثانوي كان في المرتبة الأخيرة، أين انعدم في فئة المستوى التعليمي للشريك. والمخطط البياني التالي يجسد ذلك:

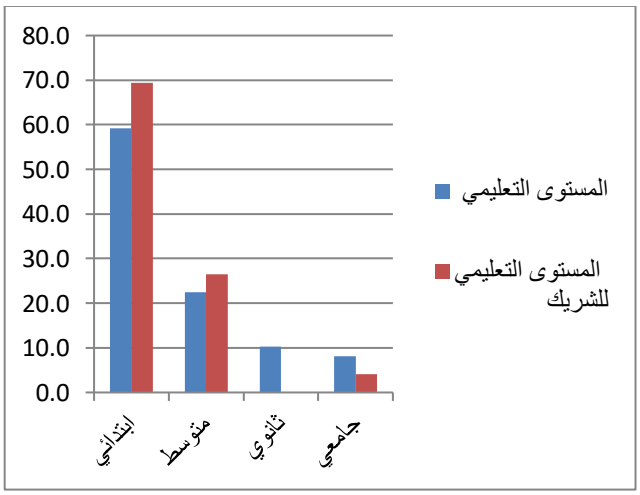

مخطط رقم (04): التمثيل البياني توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي.

3-3- أداة الدراسة:

تم إعداد استبانة تهدف إلى البحث في موضوع التخوف من اختطاف الأطفال كما يدركه الأولياء ببعض المدارس الجزائرية، حيث تكونت من جزأين: جزء خاص بالبيانات الشخصية من سن، جنس، الوظيفة، مكان العمل، وكذا الخبرة. أما الجزء الثاني فاشتمل على مجموعة أسئلة تهدف إلى الإجابة على الأسئلة البحثية.

4- عرض النتائج:

للإجابة على تساؤلات الدراسة، سيتم فيما يلي عرض النتائج المتوصل إليها من تحليل إجابات أفراد العينة على الاستبانة.

المرافقة إلى المدرسة تخوفاً من الاختطاف:

جدول رقم (05): التكرارات والنسب المئوية لإجابات المبحوثين عن المرافقة تخوفاً.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	15	30,6
لا	34	69,4
المجموع	49	100,0

يظهر من الجدول أن إدراك الأولياء لمرافقة أبنائهم للمدارس تخوفا من الاختطاف تجاوز نسبة الأولياء المرافقين حسب عينة الدراسة الحالية، وهذا ما يتضح في المنحنى البياني التالي.

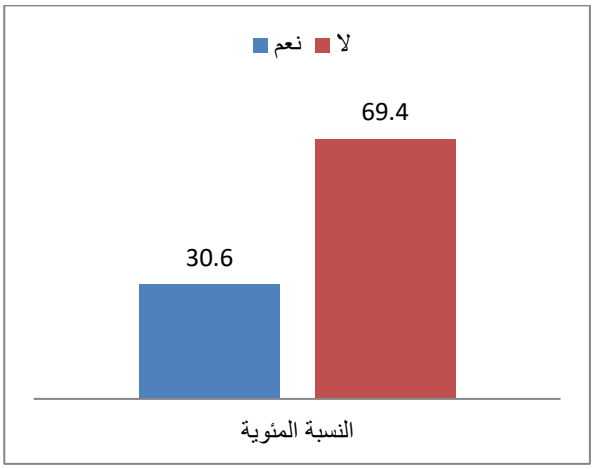

مخطط رقم (05): التمثيل البياني لإجابات المبحوثين عن المرافقة تخوفا.

تأثير التخوف من الاختطاف على النمو النفسي:

جدول رقم (06): التكرارات والنسب المئوية لإجابات المبحوثين عن تأثير الاختطاف على النمو النفسي.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	20	40,8
لا	29	59,2
المجموع	49	100,0

يتضح من الجدول أعلاه أن نسبة الأولياء الذين لا يدركون تأثير التخوف من الاختطاف على النمو النفسي للأبناء أكبر من الذين يدركون ذلك رغم أن هذه النسبة الأخيرة هي معتبرة أيضاً وتتمثل في (40,8). ويتبين ذلك جليا فيما يلي:

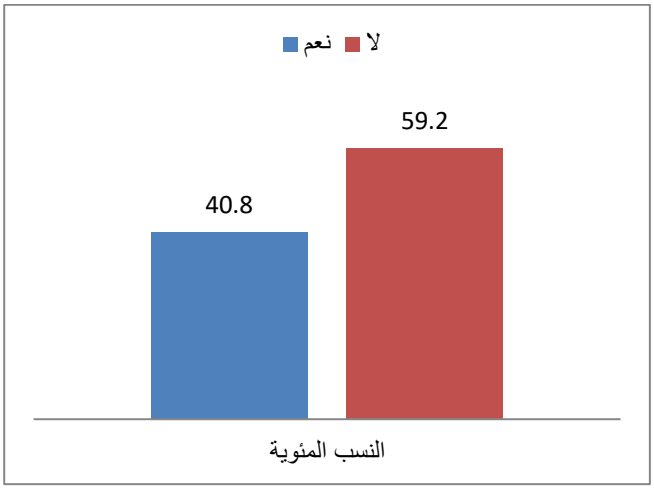

مخطط رقم (06): التمثيل البياني لإجابات المبحوثين عن تأثير الاختطاف على النمو النفسي.

تأثير التخوف من الاختطاف على استقلال الأبناء:

جدول رقم (07): التكرارات والنسب المئوية لإجابات المبحوثين عن تأثير المرافقة على استقلال الأبناء.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	19	38,8
لا	30	61,2
المجموع	49	100,0

وبالمثل للنتيجة السابقة فإن نسبة الأولياء الذين يدركون مدى تأثير المرافقة المستمرة تخوفاً من الاختطاف على استقلال الأبناء كانت قليلة مقارنة بمن يدركون ذلك (61,2) مقابل (38,8). وهذا واضح في المخطط البياني الموالي:

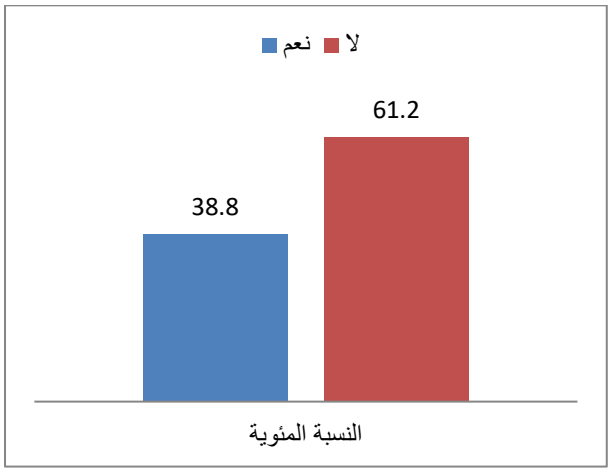

مخطط رقم (07): التمثيل البياني لإجابات المبحوثين عن تأثير المرافقة على استقلال الأبناء.

تأثير التخوف من الاختطاف على عرقلة تكوين العلاقات الاجتماعية:

جدول رقم (08): التكرارات والنسب المئوية لإجابات المبحوثين عن عرقلة المرافقة في علاقات أبنائهم الاجتماعية.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	23	46,9
لا	26	53,1
المجموع	49	100,0

يظهر من الجدول أن نسبة تفوق النصف بقليل من أفراد العينة بعدم عرقلة المرافقة المستمرة في تكوين أبناهم للعلاقات الاجتماعية والتي تقدر بـ (53,1)، بينما النسبة المتبقية والقريبة منها فيؤكدون العكس. ويتضح ذلك في المخطط التالي:

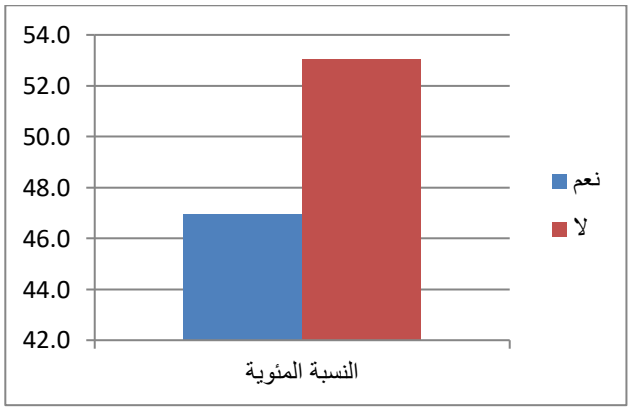

مخطط رقم (08): التمثيل البياني لإجابات المبحوثين عن عرقلة المرافقة في علاقات أبنائهم الاجتماعية.

تأثير التخوف من الاختطاف على التحصيل الدراسي:

جدول رقم (09): التكرارات والنسب المئوية لإجابات المبحوثين عن تأثير المرافقة سلباً على تحصيل أبنائهم.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	24	49,0
لا	25	51,0
المجموع	49	100,0

وفي الجدول أعلاه تبين أيضا أن النسبة الأعلى والمقدرة بـ (51,0) تمثلت في الأولياء الذين لا يرون التأثير السلبي للمرافقة على التحصيل المدرسي لأبنائهم في حين أن النسبة المتبقية والقريبة من النصف تقر ذلك. ما سيظهر في المخطط البياني التالي:

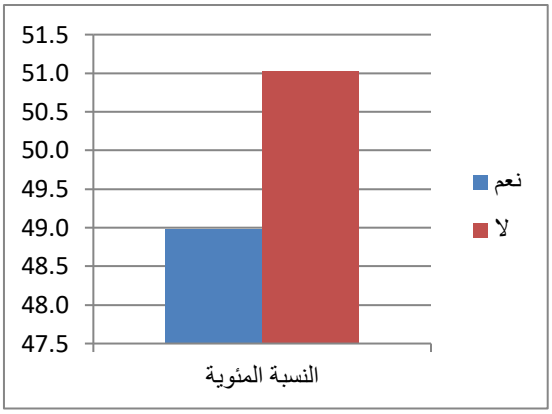

مخطط رقم (09): التمثيل البياني لإجابات المبحوثين عن تأثير المرافقة سلباً على تحصيل أبنائهم.

تأثير التخوف من الاختطاف سلبا على الأسرة:

جدول رقم (10): التكرارات والنسب المئوية لإجابات المبحوثين عن تأثير المرافقة سلباً على الأسرة.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	23	46,9
لا	26	53,1
المجموع	49	100,0

يظهر من خلال النتيجة المبينة في الجدول أن الأولياء أيضاً لا يقرون بالتأثير السلبي للمرافقة على الأسرة وذلك بنسبة تفوق قليلا عن النصف وهي (53,1). كما يتجسد في المنحنى الموالي:

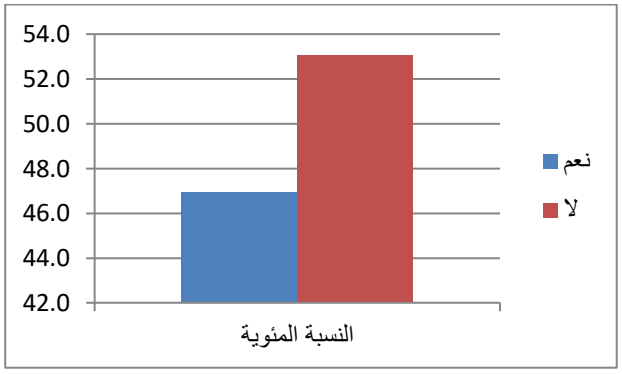

مخطط رقم (09): التمثيل البياني لإجابات المبحوثين عن تأثير المرافقة سلباً على الأسرة.

5- المناقشة العامة:

من خلال النتائج تبين عدم إدراك أولياء التلاميذ (أفراد العينة) لتأثير تخوفهم من الاختطاف على النمو النفسي للأبناء، تحقيق الاستقلال عن الوالدين، تكوين العلاقات الاجتماعية، التحصيل الدراسي، والتأثير على الأسرة.

إلا أن هو ملاحظ في مجتمعنا، هو ازدياد ظاهرة مرافقة الأبناء إلى التلاميذ باستمرار إلى المدارس وذلك بعد تفشي ظاهرة اختطاف الأطفال في مجتمعنا ما أثر سلباً على الأفراد والأسر والمجتمع بشكل عام. ما جعل ببعض الأسر إن لم نقل أغلبها ترافق الأبناء إلى المدرسة باستمرار ما يثبته أبواب المدارس الجزائرية بداية اليوم ونهايته خاصة في المدن الكبرى. إلا أن النتائج المرتبطة بالدراسة الحالية فقط أظهرت عدم إدراك أولياء التلاميذ (أفراد العينة) لتأثيرات مرافقة الأبناء تخوفاً من الاختطاف على النمو النفسي للأبناء، تحقيق الاستقلال عن الوالدين، تكوين العلاقات الاجتماعية، التحصيل الدراسي، والتأثير على الأسرة. وقد يفسر ذلك من زاوية أن أفراد العينة من مناطق ريفية كون المدارس التي تم الاعتماد عليها في الدراسة الحالية هي مدرستين تتواجدان في منطقة ريفية بدائرة ذراع الميزان.

إلا أن من خلال النسب المئوية فقد لاحظنا التقارب بينها (بين المدرك وغيره)، وهذا يمكن يرجع إلى صغر حجم العينة لذلك لابد من توسيع مجال الدراسة أكثر بهدف البحث في موضوع فوبيا اختطاف الاطفال وتأثيراتها على الأبناء من جهة والأسر من جهة أخرى.

هذا وقد يتمثل التخوف من الاختطاف على أساليب المعاملة التي يمكن أن تظهر في الحماية الزائدة أو الضبط المفرط للأبناء من خلال مرافقتهم باستمرار، حيث يشير حسين عبد الحميد وأحمد رشوان أن هذه الأساليب التي تحد من إمكانية ممارسة أدوارهم كشخصيات لها استقلالها وقد يولد العدوانية، وهذا هو معنى التشدد والحماية الزائدة وكلاهما يعوق النمو وتسهم الاستقلالية في نماء شخصية الطفل (عبد الحميد، 2007، ص 57).

لذا فقد أوصى الباحثين والمشتغلين في التربية وعلم النفس بضرورة التعامل بالوسطية لا الافراط ولا التفريط، فالتعلق غير الأمن بالمفهوم البولبي قد بينت الكثير من الدراسات التي كانت بدايتها بباولبي إلى حد الساعة النتائج السلبية التي تمس مختلف جوانب الطفل وتؤثر خاصة على المستقبل فكيف لنا بالحديث عن الصحة النفسية للطفل إن لم نتحدث عن الصحة النفسية للأسر، للأب، للأم ولما لا الأسرة الكبيرة التي تلعب لعبتها في رسم شخصية الطفل المستقبلية.

ولا أيضاً إلى درجة الحرمان أو الغياب الوالدي عن الأبناء سواء الغياب الجزئي أو الكلي، بمعنى غياب طرف واحد أو كلاهما فهذا بالمثل يساهم في بناء شخصيات مستقبلية تكون وعاء للاسواء وعدم التوازن.

إذ أن السواء المطروح دائما من الذي يختطف هؤلاء الأبناء، هل يتمتعون بصحة نفسية، هل نشؤوا تنشئة سليمة؟ أكيد والواقع يثبت ذلك أنهم يتميزون باللاسواء أو بالأحرى باللاسواء الأسري. فعليه نوصي بالصحة النفسية للآباء لتربية أبناء أسوياء نفسية وبالتالي شخصيات ناجحة في المستقبل.

6- الاستنتاج:

جاءت الدراسة الحالية للبحث في موضوع التخوف من اختطاف الأطفال كما يدركه أولياء التلاميذ، من خلال تحليل النتائج تبين ما يلي:

- أن معظم أفراد العينة لا يرافقون أبنائهم إلى المدارس بنسبة (81,6).
- إدراك الأولياء لمرافقة أبنائهم للمدارس تخوفاً من الاختطاف تجاوز نسبة الأولياء المرافقين حسب عينة الدراسة الحالية.
- نسبة الأولياء الذين لا يدركون تأثير التخوف من الاختطاف على النمو النفسي للأبناء أكبر من الذين يدركون ذلك رغم أن هذه النسبة الاخيرة هي معتبرة ايضا وتتمثل في (40,8).
- نسبة الأولياء الذين يدركون مدى تأثير المرافقة المستمرة تخوفاً من الاختطاف على استقلال الأبناء كانت قليلة مقارنة بمن يدركون ذلك (61,2) مقابل (38,8).
- نسبة تفوق النصف بقليل من أفراد العينة بعدم عرقلة المرافقة المستمرة في تكوين أبناهم للعلاقات الاجتماعية والتي تقدر بـ (53,1)، بينما النسبة المتبقية والقريبة منها فيؤكدون العكس.
- النسبة الأعلى والمقدرة بـ (51,0) تمثلت في الأولياء الذين لا يرون التأثير السلبي للمرافقة على التحصيل المدرسي لأبنائهم في حين أن النسبة المتبقية والقريبة من النصف تقر ذلك.
- يظهر من خلال النتيجة المبينة في الجدول أن الأولياء أيضاً لا يقرون بالتأثير السلبي للمرافقة على الأسرة وذلك بنسبة تفوق قليلاً عن النصف وهي (53,1).

فعليه نوصي في هذه الورقة البحثية ضرورة الاهتمام بالصحة النفسية للأسر وذلك لتعزيز التربية السوية الايجابية التي تضمن لنا أطفال (تلاميذ) أسوياء وبالتالي أب مستقبلي سوي ...وأم مستقبلية سوية ...أسرة مستقبلية سوية...لنبني مجتمع سوي يتمتع بالتوازن النفسي الذي يؤثر إيجاباً على مختلف مجالات الحياة.

قائمة المراجع:

- معتوق، سهام (2013). إساءة المعاملة الوالدية وعلاقتها بالسلوك العدواني لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي: دراسة ميدانية ببعض ابتدائيات مدينة المسيلة. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تخصص علم النفس الجنائي. جامعة المسيلة. الجزائر.

- عبد الحميد، حسين ورشوان أحمد (2007). الطفل دراسة في علم الاجتماع النفسي. ط 3 الإسكندرية. المكتب الجامعي الحديث.